اسباب الحرب ونتائجها

يسهل البحث عن اسباب هذه الحرب ويصعب التكهُّن بنتائجها لانها حتى كتابة هذه السطور لا تزال سجالاً . دوَّخ الالمان بلاد البلجيك وانتشروا في جانب كبير من فرنسا ودنوا من باريس ودخل خصومهم الروس بلادهم وبلاد النمسا حليفتهم ودوخوا جانباً كبيراً منها والمستقبل غيب . وقد ذكرنا في مقتطف سبتمبر ما بدا لنا من اسباب هذه الحرب ونتائجها ورأينا الآن مقالة في هذا الموضوع لكاتب خبير وسر السر هري جنستن في مجلة القرن التاسع عشر التي صدرت في اول سبتمبر فاقتطفنا منها ما يأتي

ان بزور هذه الحرب زرعت سنة ١٨٨٤ فان المانيا عزمت حينئذٍ ان تصير من دول الاستعمار الكبيرة لما رأت من تغلُّب انجلترا على بلاد الكنجو وبسط انكلترا لسيادتها التجارية على بلاد النيجر وعمل فرنسا في غرب افريقية ومدغسكر حاسبة انها ان لم تستولِ هي على جانب كبير من بلدان الامم لتتناول منهُ المواد التي تستعمل في الصناعة وتبيع فيهِ مصنوعاتها صارت صناعتها عبدة ذليلة لاميركا وانكلترا وفرنسا لاسيما وان اميركا وفرنسا ضربتا الكوس الباهظة على ما يرد اليهما من البضائع ولا يبعد ان تتبعهما انكلترا خطواتهما فلا يبقى لالمانيا مورد تستورد منهُ المواد اللازمة لصناعتها فيتعذر عليها مباراة هذه البلدان صناعةً وتجارةً

ولما حاولت المانيا الاستيلاء على بعض البلدان الافريقية راب الانكليز امرها لكنهم لم يروا وجهاً للاعتراض عليها فاستولت في افريقية وجزائر البحر بحق او بغير حق على بلاد مساحتها ١٣٥٠٠٠٠ ميل مربع وكان نصيبها من افريقية كبيراً جداً . وقد ندم الانكليز على جانب كبير من غربي افريقية عرضهُ اصحابهُ عليهم فلم يقبلوهُ لانهم حسبوهُ صحاري قاحلة لا خير فيها فاخذتهُ المانيا واذا هو من اغنى البلدان بخيراته فيهِ الماس والنحاس ومعادن الفوانو وما اشبه

لكن المانيا لم تقنع بما ملكتهُ من هذه البلدان وبما تتوقع امتلاكهُ من غيرها بل قصدت ان تصير من الدول البحرية الكبيرة وتمسك بذراعيها البحر الشمالي وبحر بلطيق من الشمال والغرب وبحر الادرياتيك من الجنوب والشرق وبلغت الادرياتيك باتفاقها مع النمسا حتى صار اتصالها بها اشد من اتصالها بمقاربة احدى ممالكها . ثم اذا وصلت النمسا الى بحر اجيا (الارخبيل) وامتدت سلطتها الى كورفو سهل على المانيا الوصول الى بر الاناضول والعراق

رأت انكلترا منها ذلك ولم تمانعها بل حسبت ان اتساعها وتوسعها امر مقضي لا بدَّ منهُ

ولكنها رافبت بعين الحذر ما رأتهُ من ازدياد اسطولها فاوجست من ذلك شرًّا لان امبراطورها لم يخفِ ما في نفسهِ بل كاشف بهِ وزراءهُ وغيرهم وهو ان تبسُط المانيا في افريقية وما يتوقع ان يستولي عليهِ من املاك تركيا لا يقنعهُ عن الاستيلاء على اسوج والدنمارك وهولندا وبلجيكا فتمتد سلطتهُ حينئذٍ من اسوج شمالاً الى تريستا فكرفو فسلانيك فالاستانة فبغداد فخليج العجم جنوباً ويبقى الهند الى ان تحين الفرص لتدويخها

وقد بدأ الآن في العمل بما ينويهِ فهاجم بلجيكا وفرنسا واضطر انكلترا الى الدفاع عنهما ولا بدَّ من ان يوقع بهما وبانكلترا ضرراً كبيراً ويحملها خسائر فاحشة ولكنهُ استهدف وعرَّض بلادهُ لفقدان كل ما تملكهُ من المستعمرات وما لها من الامتيازات والنفوذ في البلاد العثمانية وما كانت تنتظر امتلاكهُ في افريقية من املاك البرتغال والبلجيك . واذا تابع الحرب الى النهاية كما يقول فاما ان يُغلَب فتخرج بلادهُ الى ممالك وامارات صغيرة لا يخشى شرها في المستقبل واما ان يَغلِب فتخرج بلادهُ من الحرب وقد هلك اكثر جيشها وضرب الافلاس فيها اطنابهُ بعد ان تكون قد خربت انكلترا واخذت فرنسا من سكانها ويتسع المجال حينئذٍ لروسيا والولايات المتحدة وكندا وجنوب افريقية واستراليا وزيلندا الجديدة واليابان حتى تمتلك المكونة صناعة وتجارة وتخرج المانيا منها ويحتمل ايضاً ان تقوم حينئذٍ الشعوب السوداء والحمراء والصفراء وتخلع نير الاوربيين وتنازعهم السيادة فلا تقوم لالمانيا قائمة بعد ذلك ولو كان الفوز لها في هذه الحرب

والمانيا لا تسمع نصح الناصحين فلم يبقَ لانكلترا الاَّ ان تبذل كل ما في وسعها لتفوز عليها باسرع ما يمكن فتنجيها من الاضمحلال وتنجي نفسها ايضاً من الخراب والظاهر مما كتبتهُ الجرائد الالمانية الموعز اليها ان هذه النتائج لا بدَّ منها فقد قالت عند ابتداء الحرب ان المانيا لا ترجو المغلوب ولقد جاءت فعال الالمان في الغرباء الذين كانوا في بلادهم وفعال جيوشهم في البلدان التي دخلوها مؤيدة لذلك فدعت الى توثيق عرى الاتحاد بين خصومهم وتألبهم على مقاومتهم لدفع شرهم عنهم ولا بدَّ من ان يعاملوهم بعد الفوز عليهم بما كانوا هم عازمين ان يعاملوهم بهِ فيقصروا اشبار المانيا حتى لا تستطيع ان تضرَّ بهم في المستقبل

والظاهر ان المانيا وقعت الآن بين شرين لا بدَّ لها من اختيار احدهما اما ان تطلب ممالكها وامارتها الخارجة عن بروسيا الهدلة وتخلع نير بروسيا ونير اسرة الامبراطور عنها او تواصل الحرب الى ان تقهر المانيا فتقسم الى ممالك وامارات صغيرة وتفصل الحر عن النمسا وتحد انسام بونوبا الثلاثة فتعود مملكة واحدة تحت سيادة روسيا وتحد بوهيميا وموراقيا وتسترد

الدنمارك شسوك الشمالية وتأخذ كل من رومانيا والسرب ما يخصها من امبراطورية النمسا وتأخذ ايطاليا ترنتو والقسم الايطالي من اوستريا ودلماطيا وتستولي فرنسا على ولايات الزين وتأخذ بلجكا ما تستحقهُ وهي تستحق اكثر من غيرها ويمتد ثغر هولندا الى امس وتشترك روسيا وانكلترا وفرنسا في اقسام مملكة بغداد وتأخذ انكلترا املاك المانيا في شرق افريقية حتى تتصل املاكها من بلاد انراس الى مصر

ومن المحاسن ان الشعب الالماني لم يدرك حتى الآن الخطر الذي هو فيهِ وان المتنورين منهُ ومن النمسويين اصحاب المصالح الكبيرة في همبرج وبرمن وهنوفر وبرنسويك ودرسدن وليبسك وكولن ومنهيم ودرمستات وويير وفرنكفورت وكارلسروه وستتغارت وموتخ وثيرنبرغ ينهضون ويطلبون توقيف الحرب وارجاع الجنود الالمانية الى المانيا . وتطلب المانيا والنمسا حينئذٍ عقد مؤتمر دولي يقضي بينها وبين خصومها ولا بدَّ لها من ان تسأل دولة كبيرة محايدة مثل الولايات المتحدة الاميركية كل البلدان التي عليها النزاع وجانباً كبيراً من اساطيلها ضماناً على انهما تقومان بما يفرضهُ عليهما المؤتمر . وكل ما يفرضهُ عليهما يكون خفيفاً جداً في جنب اضمحلال الامبراطورية الالمانية الذي هو نتيجة لازمة عن استمرار هذه الحرب لانهُ يستحيل ان يكون الفوز لها وللنمسا اخيراً ولم يبقَ لهما الا ان تعترفا بخطإهما وبان الامور لم تأتِ على ما قدَّرتا فقد اخطأتا في تقديرهما قوة السرب والبلجيك الحربية ومقدرة الاسطول الالماني على الاضرار بالتجارة البريطانية وفي اعتمادهما على مساعدة ايطاليا والدولة العثمانية لها . اخطأ خطأً الحكومة الالمانية والحكومة النمسوية فهل يجوز ان يؤخذ شعباهما بجريرتهما . هل يجوز ان تهلك الملايين وتضام الملايين لان عشرين رجلاً من الملوك والامراء والوزراء والقواد ليس فيهم من الشجاعة الادبية ما يحملهم على الاعتراف بخطإهم

وخلاصة ما تقدم اولاً انهُ حتى شهر يوليو الماضي لم ترَ المانيا من انكلترا وفرنسا معارضة في ما تبتغيهِ من التوسع في الاستعمار والاتجار سواء كان في افريقية او في جزائر البحر والصين وبر الاناضول والروملي . وثانياً ان المانيا رغماً عن ذلك كلهِ استولت على لكسمبرج واجتاحت بلجكا وشهرت الحرب على فرنسا وجاهرت بانها قاصدة اخذ مستعمراتها منها وذلك كلهُ بناء على ان مملكة السرب الصغيرة اظهرت العداء للنمسا . ولا تستطيع المانيا ان تجهل ان عملها هذا يدعو الى قتل كثيرين من الابرياء في بلجكا والازاس واللورين وتلف مالا يقدر من الاملاك والمقتنيات والآثار الفنية ويحمِّل بريطانيا وفرنسا وبلجكا نفقات تفتقر شعوبهنَّ سنين كثيرة

هذه خلاصة ما كتبهُ السرهري جنسن وهو صديق للالمانيا والالمانيين ولهُ مقالات كثيرة قبل ذلك حاول بها اقناع قومهُ والالمانيين بان يصافوا ويتزعوا من بينهم كل خلاف وضغينة وكان يعتقد انهُ سينال ما يتمناهُ ولكن خيبت مساعيهِ لان الطبيعة الغضبية لا تزال تربة في الانسان وستبقى كذلك دهوراً طويلة

سياسة المانيا ومستقبلها

ان المقالة السابقة ملخصة مما كتبهُ صديق حميم للالمانيين بذل جهدهُ في جعل انكلترا حليفة لالمانيا وازالة ما بين المانيا وفرنسا من اسباب الخلاف ولكن السطور التالية مقتبسة من مقالة لكاتب آخر مضت عليهِ الاعوام وهو يجاهر بمساوىء السياسة الالمانية ويحذر بلادهُ منها وهو المستر ليس باركر مؤلف كتاب المانيا الحديثة فقد كتب سنة ١٩١٢ في مقدمة الطبعة الرابعة من كتابهِ هذا يقول

« ان فشل السياسة الالمانية الذي اشرت اليهِ في الطبعات السابقة من هذا الكتاب قد زاد في السنين الاخيرة فان نظارة الخارجية الالمانية تدرّجت من فشل الى فشل ومن خطإ الى آخر وما حادثة المغرب الاقصى الاخيرة الاَّ غلطة من سلسلة اغلاط متوالية ومشروعات فاشلة . وسياستها تجاه بريطانيا هي التي سبَّبت الاتفاق الثلاثي وعجَّلت توحيد الامبراطورية البريطانية الذي كانت المانيا تتمنَّى منعهُ وقد حاولت منعهُ فعلاً . ويظهر فشل سياستها الداخلية بما ثبت من ازدياد الحزب الاشتراكي في بلادها حتى بلغت اصواتهُ في الانتخابات الاخيرة سنة ١٩١٢ اكثر من ٤٢٥٠٠٠٠ صوت . ولا شبهة في ان المانيا نجحت نجاحاً فائقاً في صناعتها وتجارتها ولكن من يمعن نظرهُ الآن يجد ان نجاحها اخذ يقل ولا يظهر ان مستقبلها سيبقى باهراً كما كان »

ثم استطرد في هذه المقالة الى الاستدلال على ما يتدرهُ للدولة الالمانية من الخراب العاجل فقال

لقد اكَّد لي اصدقاؤه الامبراطور مراراً انهُ محب للسلام ولكنني لم انفك عن حسبانهِ عاملاً على تقويض دعائم السلم ولقد سبقت فحدَّدت الوقت الذي يفعل فيهِ ذلك فقلت في مقالة نشرت في جزء يوليو من مجلة القرن التاسع عشر سنة ١٩٠٧ عند كلامي على توسيع ترعة كيال حتى تسير فيها اكبر المدرعات ما نصهُ